وزارة الثقافة
مديرية التراث الشعبي
مشروع جمع وحفظ التراث الشعبي
(١٠)

www.moc.gov.sy

من التراث الشعبي الفراتي

مختارات من أعمال الباحث
عبد القادر عياش

الجزء الثاني

اختيار : كامل إسماعيل

إعداد وتدقيق وتحقيق: عباس الطبال

وزارة الثقافة
مديرية التراث الشعبي
مشروع جمع وحفظ التراث الشعبي
(١٠)

من التراث الشعبي الفراتي

مختارات من أعمال الباحث

عبد القادر عياش

(الجزء الثاني)

اختيار : كامل إسماعيل

إعداد وتدقيق وتحقيق

عباس الطبال

منشورات وزارة الثقافة
في الجمهورية العربية السورية
دمشق ٢٠٠٧

دور الدواوين (المجالس)

إن دير الزور بحكم موقعها الجغرافي على شط الفرات وعلى طرف البادية هي حاضرة بدوية وسوق للبادية، لم يكن لها إلى نصف قرن مضى عهد بالمقاهي والأندية، وإنما كان البارزون من أبنائها وهم في الغالب رؤساء الأفخاذ والتجار الموفقون، يتخذ الواحد منهم مجلساً خاصاً له: في بيته، يسمى ديواناً، يكون عادة أنسب غرفة في البيت، يسمر فيه مع زواره من أقاربه وغير أقاربه وممن يفد على المدينة. بمعنى أن الزيارة عامة غير مقتصرة على أناس معينين، وكان أثاث الديوان من البسط واللباد تفرش على الأرض مباشرة وعليها الوسائد من الصوف أو القش[1].

يقدم صاحب المجلس القهوة لضيوفه، يديرها أحد أقاربه، وكان لبعضهم خادم خاص بالقهوة وهي القهوة المرة، وتسمية الديوان في اللغة هو مجتمع الصحف، والديوان تجمع فيه قصائد الشعر ويكتب فيه أهل الجندية وأهل العطاء، ومن هنا نقول دواوين الشعر.

والديوان (هو) المكان الذي يُجْتَمعُ فيه لفصل الدعاوي أو النظر في أمور الدولة، وبكلّ وزارة ديوان يجمع موظفيها. والديوان عندنا مجمع القوم وندوتهم

---

(١) هذا في دواوين «ربْعَات» القرى عند شيوخ القبائل ورجالاتها المشهورين أما في البلد فتبنى داخل غرفة الديوان دكة بارتفاع يقرب من / ٤٠/ سم وعرض ٨٠ سم أو يزيد قليلاً ثم يكسى بالفرش وما يتكأ عليه. المراجع.

أو ناديهم. ودواوين الديريين بهذا المعنى يجتمع فيها الناس للسمر، ويسمى السَّمَر عندنا التَّعْليلة جمعها «تَعَاليل»، وصار هذا اللفظ يطلق على الديوان، وتَعَلّل بمعنى سَهِرَ مع جماعته، غير أن المشتهر هو لفظة الديوان.

وقد تطورت أكثر الدواوين بتطور الوضع الإقتصادي في المدينة ولدى بعض أصحاب الدواوين، وصار مكان الديوان أوسع مما كان، وصاروا يفرشونه بمقاعد من الخشب طويلة يوضع فوقها السجاد وعليها وسائد.

وبعضهم يؤثث ديوانه بالكنبات، وفي الشتاء كانت تُدَفأ الدواوين بالمواقد، وهي حفر تكون في صدر الغرفة أو في وسطها، توقد بالحطب، وحول الموقد أباريق القهوة وتسمى "دِلاَل"، مفردها "دلّة"، وهي من أربعة إلى ستة، منها لطبخ القهوة ومنها لتصفيتها ومنها للصب، ثم أدخلوا المدفأة من الصاج، توقد بالحطب، واتخذوا مناقل لوضع الجمر ووضع دِلاَل القهوة على طرف الجمر. ويقدم أصحاب الدواوين لضيوفهم الدخان مع القهوة والنرجيلة لبعض الأشخاص ممن يدخنونها، وبعضهم يلازم ديوانه حتى في ضحى الأيام، يستقبل زواره.

كانت في دير الزور قبل الحرب العامة الأولى نحو ثلاثين ديواناً يتوزع عليها السامرون في الليالي. وبعضهم يقتصر على زيارة ديوان أو ديوانين، وبعضهم يزور عدة دواوين في الأسبوع الواحد، واستمرت الدواوين إلى ما بعد الحرب العامة الأولى، وكان عددها مثل العدد السابق. وقد انقرض بعضها وحلت محلها دواوين لأشخاص محدثين، ولكن عددها أخذ يتناقص شيئاً فشيئاً لإنتشار المقاهي ودور السينما وعوامل أخرى.

وإلى خمس سنوات مضت لم يبق أي ديوان، وخسرت المدينة خسارة معنوية وأدبية غير قليلة بفقدان هذه الدواوين التي كانت ندوات عامة ومجالس سمر وصالونات للأدب الشعبي.

كانت أخبار المدينة والأخبار الخارجية وغيرها تلتقي في هذه الدواوين، وتقص فيها القصص أو تقرأ، وتلقى النكات والنوادر وكانت دار شورى يتشاور فيها خاصة القوم، وكثيراً ما كانت تعقد فيها الصفقات التجارية على الخيول والأغنام وغيرها، وكان بعض الناس يحتكمون ويتقاضون فيها فتحل كثيراً من المشاكل، وكان يحتفل بعشاء العريس من أقارب صاحب الديوان فيها، وكانت تحتضن العتابا وترعاها، أي أنها كانت مباءات الأدب الشعبي، حيث كان الشعراء العاميون من البلد أو من نجد وغيرها يقصدون أصحاب هذه الدواوين، وينشدونهم شعرهم في مدحهم بمصاحبة الربابة أو بغيرها.

ويستمع السُّمَّار إلى شعر هؤلاء الشعراء الذين ساعدوا على انتشار شعر وغناء العتابا والقصيد في دير الزور، وتتلمذ بعض الديريين عليهم ورووا عنهم، فضلاً عما كان في الدير من روح شعرية ومن شعراء ديريين.

فاق الديريون بعد ذلك غيرهم من الشعراء الغرباء، وصاروا ينظمون العتابا وينشدونها في بعض الدواوين وعلى رأسهم «عبد الله الحسين الضامن» من فخذ البوكسار، كان يتردد على ديوان «ويس الكرماني» وديوان «عياش الحاج» وهما من أقاربه، لمع اسمه قبل الحرب العامة وأثناءها، وكان هذان يعطفان عليه ويتعهدانه بصلاتهما. كان من أصحاب العتابا أشخاص منقطعون إلى بعض أصحاب الدواوين في المحلة الشرقية (الشرقيين) وآخرون منقطعون إلى أصحاب المحلة الوسطى (الوسطيون). وأسَفُنا أسفاً شديداً لأن أحداً من الديريين لم يُدَوِّن ويسجل العتابا.

وكان الموظفون أنفسهم (يرتادون) هذه الدواوين ويلقون الترحيب والإكرام. ولم يكن الكثير من أصحاب الدواوين يقتصرون على تقديم القهوة فقط، وإنما كان يقدم الطعام لضيوفه فكانت الدواوين دور ضيافة، وكان الضيوف، وأكثرهم من التجار وشيوخ العشائر، يتعرفون على الأهلين ويتعرف هؤلاء عليهم

في الدواوين، ولا يقتصر الإكرام على الضيف أو الضيوف وحدهم وإنما يدعو صاحب الديوان آخرين من الأهلين إكراماً للضيف، ويتلقى الضيف البارز دعوات مع مضيفه من وجوه المدينة.

هكذا كانت الدواوين وجهاً طيباً لدير الزور. فقدناها من غير أن نستعيض عنها بالصالونات. وبيننا وبين هذه بون(شاسع)، وفي قرى الفرات مازالت توجد لدي رؤساء العشائروالأفخاذ ومخاتير القرى«الربعة» جمعها ربعات، تقابل الدواوين المنقرضة بدير الزور، فلا نحن ريفيون لنا ربعات ولا متحضرون لنا صالونات.

وقد ذاعت شهرة في البادية لبعض الدواوين في الدير ذكرها الشعراء العاميون من البدو وأهل الريف في شعرهم، وذكر الشاعر محمد الفراتي عندما كان في بغداد سنة ١٩٢٥ ديوان عياش الحاج الحسين الذي توفي في منفاه بجبلة حيث نفاه إليها الفرنسيون بقصيدته التي رثاه بها عندما بلغه نعيه جاء فيها[١]:

بكت بعدك الديوان أشياخَ شمر[٢] وناحت عليه طيء وجبور[٢]

لقد أوحش القصر المشيد وأخلقت زرابى منه جمة وستور

وَنكَّبَتِ الأضياف عن جنباته وكان لها في رحبتيه حبور[٣]

هذه أسماء ما يحضرني من أصحاب الدواوين حسب قدمها.

عبود الحسين، عبد العزيز بشار، منديل الأسعد، حسن المرعي، شباط

---

(١) جاء القصيدة في ديوان الفراتي- الجزء الأول - ص ١٥٧ / المطبوع عام ١٩٣١م في دمشق مطبعة بابيل اخوان.

(٢) من القبائل التي تسكن الفرات والجزيرة وشَمَّر وطيء والجبور من قحطان. المراجع

(٣) مطلع القصيدة هو

نَفَاهُ لِيَ النّاعي ببغداد بكرة فأحْسَسْتُ بي الأرضَ الفضاء تدور

وعددُ أبياتها ثمانية وعشرون بيتاً. المراجع

المحميد، ابراهيم الخلف، موسى الحاج، موسى المحيمد، عبد الرحمن المرعي، حاج معجون المدلج، حسن الطه، هادي الهدهد، جاسم العلوني علي السيد، المفتي محمد الملا مصطفى(كان يضرب المثل بحسن صنعة قهوته وذاعت لها شهرة في العشائر، وكان هو نفسه يجعل منها مداداً بَدَلَ الحبر عندما يريد أن يكتب فتوى) طه أفندي الملا فتيح، ويس الكرماني، عياش الحاج، أحمد بك العبد العزيز، حسن المحمد، حسن المشهور، شلاش المنديل، محيمد المشرف، فنوش العبود، عبد اللّه الحطاب، محمد الحطاب، فرحان الفياض، محمد العليوي، محمد سيد حوكان، أحمد الجنيد، صالح الحمود، محمد العياش، عكلة الخليفة، عبد السخني، بشير العياش، محمد النويصر، حميدي السعيد، محمد العاروض.